تطوير التعليم الزراعي المهني

للمهندس الزراعي أحمد محمود سالم
مدير تخطيط التعليم الزراعي بالوزارة المركزية

منذ حوالى تسع وعشرين سنة وأنا أعمل بالتعليم الزراعى ، ومنذ أكثر من عشر سنين وأنا أكتب عن هذا التعليم تارة إلى المسئولين وأخرى فى المجلات العلمية ، وثالثة فى الصحف السيارة ، وكلما عاودت النظر فى كتاباتى عن هذا التعليم شارحاً ما تضمنه من آراء أجدها جميعها تلتقى عند هدف واحد هو الرغبة فى تدعيمه والنهوض به .

وإذا كانت الأحداث السياسية والاقتصادية التى تمر بها البلاد تؤثر على نظم التعليم وأساليبه ، فليس من شك فى أن إنشاء السد العالى بمصر هو أحد الأحداث الضخمة التى تؤدى حتما إلى تطوير التعليم الزراعى بها ، والتطوير لا بد أن يصيبه فى كميته وفى نوعه ، وإذا كنا بصدد اقتراح سياسة جديدة يقوم عليها التعليم الزراعى ، فإننا نرى أن نبرز أولا بعض حقائق هامة تمثل الأوضاع القائمة بغية مناقشتها وتحليلها حتى إذا ما استقر الرأى حيالها إلى وضع معين أمكن اتخاذه أساساً للأوضاع المرجوة لهذا التعليم ، وهذه الحقائق هى :

أولا : أننا لم نصل بعد إلى أقصى الإنتاج الزراعى الرأسى ، وإذا كان هذا الإنتاج يتم بتآلف عناصره الثلاثة : الأرض ، والعمل ، ورأس المال ، وإذا كانت المهمة الأولى والأساسية للمنتج هى الجمع بين هذه العناصر طبقاً لمقتضيات الفن الحديث ، فليس يوجد أدنى شك فى أن الفلاح المتعلم سيكون حتما أقدر من زميله غير المتعلم على قيام التآلف المنشود بين عناصر الإنتاج الذى تتحقق به الرغبة فى الحصول على أعلى إنتاج للأرض بأقل كلفة مع المحافظة على خصبها .

ثانياً : إن مجال التعليم والتدريب الزراعى يتم أساساً بطريقين :

١ — طريق اكتساب الخبرات والمهارات بالممارسة خارج جدران معاهد التعليم ، والمتخرجون فى هذا الميدان كثيرون ، يؤلفون النسبة الكبرى بين المشتغلين بالزراعة فى مصر .

٢ — طريق مدارس ومعاهد التعليم الزراعى ، وتوجد منها بمصر الآن المستويات الآتية :

(ا) التعليم الزراعى الإعدادى . (ب) التعليم الزراعى الثانوى .
(حـ) التعليم الزراعى العالى . (ء) التعليم الزراعى الجامعى .

ولسنا نشك فى أن كل مجتمع زراعى يحتاج إلى كل هذه الفئات ، وكل هذه المستويات . ولا سبيل إلى الاستغناء عن واحد من هذه المستويات ، لأن التكامل المطلوب بين المشتغلين فى القطاع الزراعى يتطلب وجود جميع هذه الفئات . والمعاهد الزراعية المصرية تشترك جميعها فى بعض الظواهر التى تقف فى طريقها وتحول دون بلوغها الأهداف المرسومة لكل منها .

ولا بأس أن نورد هنا بعض هذه الظواهر :

١ — إن الإقبال عليها لا يقوم على أساس الرغبة الأكيدة من جانب الطلبة وأولياء أمورهم ، فإنه لا يقصد إلى المعاهد الزراعية إلا من حالت الظروف دون التحاقهم بأحد المعاهد الأخرى ، وهذه الظاهرة تقوم حتى الآن على منطق المجتمع المصرى القديم الذى ظل فترة طويلة يكفر بالعلم الزراعى ، ولا يؤمن بالمتعلمين الزراعيين . ثم إن العمل الزراعى بطبيعته عمل شاق يحتاج إلى جهود متصلة ، ثم إن أرباح المشتغل به لا تعتمد فقط على العلم والمعرفة بالأصول الزراعية ، بل تتوقف على ظروف أخرى كثيرة ليس للإنسان عليها سلطان ، أما غير الزراعة من الحرف فمجال بلوغ غاية الإنتاج فيها أقرب إلى المنال .

٢ — تستوعب المعاهد الزراعية فى كل مراحلها أعداداً ضخمة من الطلبة والتلاميذ مع قصور واضح فى إمكانياتها المادية والبشرية .

٣ — عدم توافر الخبرة الكافية للمدرسين ، وعدم إلمامهم بالناحية التربوية .

٤ — بعد المناهج الدراسية فى الغالب عن البيئة ، وعدم الربط بين البحوث العلمية وبين مشكلات هذه البيئة .

٥ — الخلط بين رسالة كل من الكلية والمعهد العالى ، وبالرغم من أن أهداف التعليمين قد وضحت وضوحاً لا لبس فيه ولا غموض ، وبالرغم من التسليم بحاجتنا إلى كلا النوعين من الخريجين فإن هناك صراعاً يقوم بين العناصر التى تتألف منها أسرة كل فئة .

٦ — لا تزال أمنية كل طالب حصل على الثانوية العامة أن يلتحق بإحدى الكليات الجامعية ، وكليات الزراعة ليست هى الكلية الأولى التى يرجو الالتحاق بها ، ثم يأتى فى المرتبة الثانية التحاقه بأحد المعاهد العالية .

٧ — تنتظم بكليات الزراعة فى الوقت الحالى أعداد كبيرة تفوق حاجتنا إلى القادة والباحثين الفنيين ، ومن هنا تبدو حاجة الخريجين الكثيرين إلى العمل فى غير المجالات التى أعدتها لهم دراساتهم الأكاديمية .

أما عن الحقائق التى تتصل بالمستقبل غير البعيد فهى أن قيام السد العالى سيخدم القطاع الزراعى فى المجالات الآتية :

١ — يضيف مليوناً من الأفدنة الصالحة للزراعة إلى مساحة الرقعة المنزرعة .

٢ — يتيح الفرصة لزيادة المساحة التى تزرع سنوياً من الأرز .

٣ — يسمح بتحويل أراضى الرى الحوضى إلى رى مستديم .

٤ — يشجع على قيام صناعات زراعية تخدم الإنتاج الزراعى .

٥ — يهيء العمل لقيام الصناعات الغذائية على نطاق أوسع .

فى ظل هذه الأوضاع التى يخلقها قيام السد العالى تصبح حاجة كل من القطاعين الأهلى والحكومى ملحة للمتعلمين الزراعيين من كافة المستويات ، وإذا سلمنا بهذه الحقائق فنحن بحاجة إلى مواجهة الموقف فى شجاعة تامة ، وإلى بلورة أفكارنا فى صورة من الواقع تحقق رغبتنا فى قيام مجتمع زراعى متكامل سليم يقوم على أساس من العلم والمعرفة ، كما يقوم على الأرقام ، بحيث نكون بعيدين عن الارتجال الذى لا تحمد عواقبه . وفى ذهنى صورة لمجتمع زراعى متكامل يمكن أن نحققها على الوجه الآتى :

تخصص نصف المساحة المستصلحة (نصف مليون فدان) لتوزيعها على المتخرجين فى مدارس ومعاهد التعليم الزراعى فى صورة وحدات ، تتراوح مساحتها بين خمسة أفدنة لخريج المدرسة الإعدادية الزراعية ، وعشرة لخريج المدرسة الثانوية الزراعية ، وعشرين لخريج المعهد الزراعى العالى ، على ألا يقتصر مجال النشاط لخريج المدرسة الإعدادية الزراعية على تملك الأرض ، بل يتجاوزه إلى العمل بالأجر لدى زملائه من خريجى المدارس الثانوية والمعاهد العالية .

وإننى أتصور ذلك وأتصور معه قيام الجمعيات التعاونية التى تخدم الأغراض المختلفة للإنتاج الزراعى ، ثم أتصور معه أيضاً سكنى هؤلاء الزراع المتعلمين فى مساكن صحية مزودة بالمياه النقية والنور الكهربائى ، ومنتشرة فى ربوع الريف ووسط حقوله مع ما يلزمها من المرافق التى تؤدى لسكانها كل ما يلزمهم من خدمات صحية وتعليمية واجتماعية .

وإذا كنت أسمح لنفسى بمطالبة المسئولين بقيام هذا المجتمع الزراعى من بين المتعلمين الزراعيين وتخصيصهم بهذا النصيب الأكبر من الأرض الزراعية المستصلحة ، فواجبى يقتضينى أن أصور كذلك الوضع السليم بالنسبة لمدارس ومعاهد التعليم الزراعى الذى يجعلها تؤدى رسالتها وتحقق أهدافها لكى تستطيع تزويد هذا المجتمع المنتظر بشباب واع لا تنقصه المعرفة ولا تعوزه الخبرات والمهارات التى يحتاج إليها ، وفى اعتقادى أن الوضع السليم يتطلب قيام مدارس التعليم الزراعى على الصور الآتية :

التعليم الزراعى الإعدادى :

إذا كان الوضع المعروف بالنسبة لطائفة العمال الزراعيين هو تفشى الأمية بينهم فنحن بحاجة إلى محو هذه الأمية عن طريق إيجاد جيل جديد من العمال المتعلمين المهرة وإعدادهم إعداداً عملياً يتجاوب مع ظروف البيئة ، ويعينهم على إجادة وسائل الاستثمار الزراعى الحديث ، ويهيئهم لدراسة أصوله ، وتقبل الجديد من هذه الوسائل .

وإذا كنا فى صدد اقتراح الأوضاع التى نتصورها مؤدية إلى تحقيق أهداف هذه المرحلة من مراحل التعليم والتدريب الزراعى ، فلا بأس علينا من أن نعرض للوضع القائم لها ، ونناقش النتائج التى ترتبت على قيامه فى صورته الحالية ثم نخرج باقتراحاتنا فى شأنه ، والوضع الحالى يتمثل فيما يلى :

١ — ينتظم بهذه المرحلة فى الوقت الحاضر التلاميذ الذين أتموا بنجاح مرحلة الدراسة الابتدائية فى سن تتراوح بين ١٢ و ١٧ سنة ، وأغلب هؤلاء التلاميذ ليسوا من أبناء المزارعين .

٢ — مدة الدراسة ثلاث سنوات دراسية ، والتدريبات العملية ملازمة للدراسة النظرية ، وبالرغم من أنها قد اختصت بثمان وعشرين حصة أسبوعياً من مجموع عدد الحصص البالغ أربعين حصة إلا أن هذه الساعات الكثيرة تنصرف فى غير التدريب المثمر ، ويعزى سبب ذلك إلى عدم كفاية المدرسين من ناحية ، وإلى عدم توافر الإمكانيات التى تسمح بقيامه ، وأخيراً إلى كثرة عدد طلبة المدرسة الواحدة .

٣ — يقوم بتدريب التلاميذ والتدريس لهم مدرسون أغلبهم من حملة دبلوم المدارس الثانوية الزراعية ، وقليل منهم من حملة بكالوريوس الزراعة . وكفاية هؤلاء المدرسين فى الناحية العملية محدودة ، وجهودهم فى الغالب تنصرف إلى تلقين التلاميذ معلومات نظرية ربما كانت هى نفسها التى تلقوها بمدارسهم أو بكلياتهم ، ثم إن عدم رضاء المدرسين عن عملهم يستتبعه عدم اهتمامهم بالتحصيل ، سواء أكان من الناحية الفنية أم من الناحية التربوية التى تنقصهم ، وعدم الرضا فى الغالب سببه أن عمل مدرسى الزراعة يعتبر أشق من عمل المهندس الزراعى . ثم إن هؤلاء لا يجزون عن أعمالهم الإضافية التى تتطلبها طبيعة نشاطهم فى الإشراف والتوجيه بالمرافق الإنتاجية الملحقة بالمدرسة .

٤ — بالرغم من أن عدد المتخرجين فى هذه المرحلة ضئيل نسبياً — نحو خمسمائة سنوياً — ويؤلف نسبة بسيطة بين عمال الزراعة إلا أن البطالة تتفشى بينهم .

وبطالتهم ترجع فى الغالب إلى الأسباب الآتية

أولا : إنهم فى الغالب ليسوا من أبناء الفلاحين ، ومن كان منهم كذلك فليس يملك والده من عناصر الإنتاج الزراعى غير فأسه وساعديه .

ثانياً : إنهم جميعاً يفضلون العمل فى غير الميادين الزراعية ، لأن العمل الزراعى شاق ، ثم هم يفقدون الثقة فى كفايتهم لهذا العمل ، ويشاركهم المجتمع فى فقدان هذه الثقة ، ومنافسوهم فى هذا الميدان من طائفة العمال الزراعيين العاديين أقدر منهم على ممارسة هذه الأعمال سواء أكانت القدرة من ناحية استعدادهم الجسمانى أم من ناحية فهمهم لأصولها .

ثالثاً : إن القلة بينهم التى قد تتوافر لها الثقة فى كفايتها ، لا تتوافر لها عناصر الإنتاج الزراعى التى تتمثل أساساً فى الأرض ورأس المال .

وفى ضوء هذا الواقع نرى أن الإصلاح المنشود لهذه المرحلة ربما يؤدى إليه قيام الأوضاع على الصورة الآتية :

١ — تقسم مرحلة الدراسة إلى فترتين :

الأولى فترة تدريب : ومدتها سنتان على الأقل سابقة لفترة التعليم ، وتنتهى بتقييم المدربين .

الثانية فترة تعليم : ومدتها سنة دراسية لاحقة لفترة التدريب .

٢ — يتم التدريب بمراكز للتدريب تلحق بالمؤسسات الحكومية (كليات ـ معاهد ـ مدارس ثانوية زراعية ـ مزارع حكومية) أو بالمؤسسات الأهلية (مزارع الشركات ومصانعها) .

٣ — يمضى المدربون السنة الأولى من سنى التدريب فى المجالات الزراعية المختلفة ثم ينصرفون فى السنة الثانية إلى واحد أو أكثر من هذه المجالات التى توافق ميولهم واستعداداتهم .

٤ — يخضع التلاميذ ومدرسوهم للنظام الذى يفرضه العمل وطبيعته فى المؤسسات التى ينتظمون فيها .

٥ — التلاميذ الذين أتموا فترة التدريب بنجاح يمضون سنة دراسية مدتها عشرة أشهر بالمدرسة الإعدادية الزراعية ، يدرسون خلالها أساسيات المواد الزراعية مع بعض المواد الثقافية .

٦ — يقوم بالتدريس بالمدرسة الإعدادية الزراعية مدرسون تهيأت أمامهم الفرص لاكتساب خبرات ومهارات معينة فى الحرف الزراعية المختلفة .

٧ — تتصل موضوعات المناهج الدراسية بالمدرسة الإعدادية الزراعية بنواحى النشاط الزراعى فى البيئات المصرية المختلفة .

والتدريب السابق للتعليم موجود فى أغلب دول أوربا ، وتشترطه انجلترا لمدة أقلها سنة ، والدانمرك لمدة أقلها ثلاث سنوات يمضيها التلميذ فى مزارع معترف بها ، وهذه يندر وجودها لدى الأهالى بالجمهورية العربية المتحدة .

ولهذا اقترحنا قيام التدريب بالمؤسسات الحكومية والأهلية التى تملك وسائل هذا التدريب . والتدريب السابق للتعليم الزراعى يؤكد المعانى المهمة الآتية :

الأول : الرغبة من جانب المدرَّب فى اختيار الزراعة حرفة له رغم مشقتها .

الثانى : الكشف عن مواهب وقدرات وميول المدرَّب نحو أحد مجالات العمل الزراعى .

الثالث : الإفصاح عن مستقبل المدربين من أول الأمر ، وكيف أنه يعتمد أساساً على مدى حذقهم للمهارات واكتسابهم لخبرات معينة تعينهم على شق طريقهم فى الحياة الحرة الكريمة .

الرابع : الربط بين المدرسة والبيئة ، إذ أن قضاء التلاميذ ومدربيهم بعض الوقت فى هذه المؤسسات سواء منها الأهلية أو الحكومية والتدرب على أعمالها يخلق لدى هذه المؤسسات الثقة التى تفقدها الآن .

والنظرة العابرة تشير بضرورة التوسع فى محيط التدريب والتعليم الزراعى الإعدادى ، وأصحاب هذه النظرة جهلوا فئة الزراع العاديين الذين حذقوا العمل الزراعى العادى وأتقنوه ، ويقومون به ، والذين تتألف منهم القاعدة فى سلم العمل الزراعى .

والحاجة إلى خريجى المدارس الإعدادية الزراعية يحددها مدى حاجة القطاع الزراعى إلى بعض فئات العمال المهرة الذين لا يتوافر وجودهم بين العمال الزراعيين العاديين ، ويحددها أيضا نظام حيازة الأراضى الذى ستضعه الدولة بالنسبة للمستحدث من الأراضى الزراعية .

التعليم الزراعى الثانوى :

يستهدف هذا التعليم تخريج شبان حصلوا على قدر من الثقافة الزراعية يستطيعون به الاضطلاع بالمهام الآتية :

١ — إدارة المزارع .

٢ — استغلال مشروع زراعى حر .

٣ — الوظائف الفنية بالوزارات والمصالح الزراعية .

٤ — تدريس المواد الزراعية بمدارس التعليم العام .

٥ — الإرشاد الزراعى .

٦ — استصلاح الأراضى .

وتحديد أهداف هذه المرحلة من مراحل التعليم الزراعى على الصورة السابقة يجعلها بحق دعامة هذا التعليم كله ، ثم يجعل المدرسة بحاجة ماسة إلى استكمال كل المقومات التى تعينها على تأدية هذه الرسالة الضخمة .

وجدير بنا أن نتناول العناصر الخمسة التى تتألف منها المدرسة ، وهى :

خطة الدراسة ـ مناهج الدراسة ـ المدرس ـ الطالب ـ الإمكانيات .

خطة الدراسة : تتمثل خطة الدراسة أساساً فيما يلى :

١ — مدة الدراسة .

٢ — العام الدراسى .

٣ — جدول الدراسة .

٤ — نصيب المواد الزراعية والثقافية والتدريبات فى الخطة .

مدة الدراسة : هى الآن ثلاث سنوات دراسية يمضيها الطالب فى دراسة المقررات النظرية . وفى التدريب على بعض المهارات والخبرات التى تحتاج إليها ، ويكاد يكون هناك إجماع على أن تحديد مدة الدراسة بثلاث سنوات دراسية يكفى لتحقيق الهدف من الدراسة بهذه المرحلة .

العام الدراسى : ان الذى يحتاج إلى معاودة النظر فيه هو العام الدراسى نفسه ، ومتى يبدأ ، ومتى ينتهى ، وكيف أنه لا يجب أن يخضع للنظام العام ، بل يجب أن ينفرد بنظام يجعله أكثر تمشياً مع طبيعة العمل الزراعى الموسمى .

ولا بأس أن أعرض هنا صورة تقوم فى ذهنى وأراها محققة لهذا الغرض :

يبدأ العام الدراسى مع بداية السنة الزراعية فى منتصف سبتمبر ، وتستمر الدراسة حتى آخر ديسمبر ، ثم يمنح نصف طلبة المدرسة مع نصف مدرسيهم إجازة مدتها أسبوعان ، ثم يمنح النصف المتبقى من الطلبة ومن المدرسين إجازة مماثلة تنتهى فى آخر يناير ، ويمضى الطلبة الموجودون بالمدرسة خلال شهر يناير أوقاتهم فى التدريب على الأعمال الجارية تحت إشراف مدرسيهم ، ويكون ذلك فى ظل نظام معين يؤدى إلى توزيعهم على المرافق الإنتاجية بالمدرسة ، بحيث يقتصر نشاطهم على التدريب دون الدراسة النظرية .

وتستأنف الدراسة لجميع طلبة المدرسة فى أول فبراير ، وتستمر حتى آخر مايو حيث تبدأ امتحانات النقل والدبلوم .

وإذا احتاجت امتحانات النقل إلى اسبوعين — حتى منتصف يونيو — فإن الطلبة يستأنفون عامهم الدراسى فى التدريب فقط مدة ستة أسابيع أى حتى آخر يوليو ، ثم يمنح نصفهم مع نصف مدرسيهم إجازة مدتها ثلاثة أسابيع ، ونصفهم الآخر إجازة مدتها ثلاثة أسابيع أخرى تنتهى فى الأسبوع الثانى من شهر سبتمبر الذى جعلناه بداية العام الدراسى لهذه المدارس .

ولكى يحظى التدريب اللاحق لتأدية الامتحان بالاهتمام الواجب من الطلبة فإنا نقترح تأجيل اعلان نتائج الامتحان إلى ما بعد انقضاء فترة التدريب حتى إذا ما ثبت أن طالباً أهمله أو تخلف عنه لغير عذر مقبول ألغى امتحانه ورسب بفرقته .

جدول الدراسة : إن نفس الأسباب التى قامت لاستقلال المدرسة الزراعية بعام دراسى خاص تقوم كذلك لجدول الدراسة بها ، فإنه هو الآخر يجب أن يتفق وطبيعة العمل الزراعى الذى لا يعرف المواعيد المحددة لإجرائه .

فإذا كان حلب المواشى يتم فى الصباح الباكر وفى المساء ، وإذا كانت مقاومة بعض الآفات تحتاج إلى أن نباشرها فى الليل ، ثم إذا كان رى الزروع يمتد إلى الليل أحيانا كثيرة — إذا كان الوضع كذلك بالنسبة لكثير من العمليات الزراعية فلا بد لنا من أن ندخل بعض التعديلات على جدول الدراسة

التقليدى لهؤلاء الأسباب التى تمكن الطلبة من التدرب على إجراء مثل هذه الأعمال التى يتم إجراؤها فى غير أوقات الجدول العادى .

ولتحقيق ذلك أرى أن يخصص بصفة دورية ولمدة أسبوعين مثلا طلبة فصل من الفصول بالفرقة النهائية يوزعون فى أثنائها على المرافق الإنتاجية بالمدرسة ، وينصرفون فى خلالها إلى العمل مع عمال المدرسة دون الانتظام فى الدراسة العادية . ومن هنا تبدو الأهمية الخاصة لقيام الأقسام الداخلية بالمدارس الزراعية ، وأرى قصر اللحاق بها على طلبة الفرقة النهائية .

أما الوقت المخصص للتدريبات والتمرينات العملية فى جدول الدراسة العادى فإنى أتفق فى الرأى مع مستر بتلى خبير التعليم الزراعى الموفد من هيئة اليونسكو فى عدم تجميعه فى فترات طويلة تحتل اليوم المدرسى بأكمله أو أغلبه ، ذلك لأن الطالب مهما كانت قدرته الجسمانية لا يستطيع مواصلة التدرب على العمل اكثر من ساعتين متصلتين يكون بعدهما فى حاجة إلى الراحة .

نصيب المواد الزراعية والثقافية والتدريبات فى الخطة :

تحظى المواد الزراعية فى خطة الدراسة الحالية بأكثر الوقت المخصص للدراسة ، وليس بينها من مواد الثقافة سوى اللغة العربية والدين ، وإذا كنا نهدف إلى تخريج مواطن صالح ، فلابد أن تحظى المواد الثقافية كالاجتماعيات والرياضيات بنصيبها المعقول بين مواد الدراسة ، وإذا كان عدد الحصص المقررة أسبوعيا هو ٤٠ حصة فإنى أرى توزيعها على الوجه الآتى :

٢٥٪ لدراسة المواد الثقافية ، ٢٥٪ لدراسة المواد الزراعية النظرية ، ٥٠٪ للتدريبات والتمرينات العملية التى تتطلبها دراسة المواد الزراعية .

المناهج الدراسية : لست من المؤمنين بأن المنهج الدراسى مهما أحكم وضعه لتحقيق هدف معين كاف وحده لتحقيق هذا الهدف مالم يصحبه فهم الجهاز الفنى كله من المدرسين والمفتشين لهذه الأهداف .

ومناهج الدراسة الحالية للمواد الزراعية فى هذه المرحلة من مراحل التعليم الزراعى لا غبار عليها ، ويحتاج تنفيذها على الوجه المرغوب إلى توزيع موضوعات كل مادة فى ثلاث مجموعات :

الأولى : وتضم أساسيات المادة ، وهذه تحتاج إلى توحيد دراستها بمدارس المرحلة الواحدة .

الثانية : وتضم الموضوعات المتصلة ببيئة المدرسة ، وهذه تحتاج إلى تفصيل فى دراستها والتدريب عليها ، وتستقل بهذا التفصيل كل مدرسة حسب ظروفها .

الثالثة : وتضم موضوعات البيئات المصرية الأخرى ، وهذه لا يجب إغفال تدريسها ، وإنما لا تحظى بنفس التفاصيل التى تقوم عليها دراسة موضوعات البيئة

وإذا كنا نرى قيام الوضع على هذه الصورة ، فان ذلك تستتبعه حتما معاودة النظر فى الصورة التى تقوم عليها امتحانات الفرقة النهائية .

وهل تظل موحدة كما هى حالتها الآن ، أم تصبح إقليمية بحيث تختص كل مدرسة أو كل مجموعة من المدارس تضمها بيئة موحدة بامتحان موحد . وكل ذلك يعين عليه ويساعد فى تنفيذه :

(ا) وضع كتب مدرسية مناسبة يشترك فى وضعها من مارسوا هذا التعليم وعرفوا مراميه وأدركوا أهدافه الحقيقية .

(ب) فهم المدرسين والمفتشين لأهداف التعليم الزراعى ، وأمر ذلك كثير الالتباس على أغلبهم خصوصاً الجدد من المدرسين .

المدرس : المدرس فى أية مدرسة ، بل فى أية أمة هو حجر الزاوية فيها ، ويتوقف نجاح المدرسة على إدراكه لرسالته وإخلاصه فى القيام بواجباته . ومدرس المدرسة الثانوية الزراعية هو خريج كلية الزراعة أو الطب البيطرى أو الهندسة ، وربما تنقصه بعض الخبرات الفنية والتربوية . وإذا كنا نسعى إلى استكمال هذا النقص عن طريق برامج التدريب ؛ فإن استجابته لسد هذا النقص محدودة ، وأغلب الظن أن أسباب ذلك ترجع إلى أن عمله كمدرس لا يتفق مع طبيعة الدراسة التى تلقاها بكليته ، ولا يتفق مع ميوله ، والظروف وحدها هى التى قادته إلى هذا الميدان من ميادين العمل التى لم يؤهل لها .

وأغلب المدرسين يتهزون الفرص التى تسمح لهم بالفرار من هذا العمل إلى الأعمال الأخرى ، ولهذا فإنى ألمس بين مدرسى التعليم الزراعى عموما حالة من القلق وعدم الرضا مبعثها فيما يبدو لى :

(ا) أن مستقبل المدرس الزراعى يكاد يكون مجهولا، وفرص الترقى لديه محدودة، بينما زملاؤه فى الوزارات الأخرى ينعمون بمستقبل واضح، ثم هو كذلك لا يتمتع بنفس الفرص التى يتوافر وجودها لزميله رجل التعليم العام لمجرد أنه لم يحصل على مؤهل تربوى .

(ب) إن مدرس المدرسة الزراعية يحمل بأعباء أكثر من أعباء غيره من المدرسين، فهو غالباً ما يكلف بالإشراف على أحد المرافق الإنتاجية بالمدرسة، ومسئوليته عن هذا المرفق ليست فقط من الناحية الفنية، بل إنه مسئول عنه من الناحية المالية، كما أن هذه المسئولية لا تنتهى بانتهاء العام الدراسى، بل تمتد طوال العام، والاستقرار الذى ننشده بين مدرسى التعليم الزراعى يمكن أن يؤدى اليه :

(ا) منحهم مرتبات إضـــافية ـ بدل تدريس ـ مثلهم فى ذلك مثل مدرسى التعليم الصناعى .

(ب) معاودة النظر فى نصابهم المقرر من الحصص والتخفيف عن المدرس الموكول اليه الإشراف على أحد المرافق الإنتاجية .

(ج) منح المجدين من المدرسين مكافآت تشجيعية .

تدريب المدرسين : ذكرت أن المدرسين من حملة بكالوريوسات الزراعة والطب البيطرى والهندسة تنقصهم الخبرة بالناحيتين العملية والتربوية، وحاجتهم للتدريب فى هاتين الناحيتين ملحة .

ونظراً لحداثة عهد دولتنا بتدريب موظفيها فإن هذا التدريب لم يكن يحظى بالاهتمام الواجب من المدربين، لاعتقاد الجدد منهم أنهم قد بلغوا الغاية بمجرد حصولهم على مؤهلهم العلمى، ولا حاجة بهم إلى المزيد من المعرفة، أما قدامى الموظفين فيضيفون إلى هذا سبباً آخر هو أن ما اكتسبوه من خبرة فى العمل جعلهم فى غير حاجة إلى هذا التدريب، بل إن بعضهم يظن أنه أصبح حجة فى عمله .

وفى ظل هذا الزعم قام تدريب المدرسين بالتعليم الزراعى فى جو يسوده الشعور بعدم الحاجة اليه، ولم يحظ فى بادىء الأمر بالاهتمام الواجب، بل إنه ظل فترة غير قصيرة محوطاً بشىء من التراخى والتكاسل، ولكن إيمان المسئولين عن التعليم بأهمية هذا التدريب للمدرسين، كان دائماً يدفعهم إلى السير به نحو الكمال .

وأعتقد أن الأسس الصالحة لقيام الدعائم التى يرتكز عليها هذا التدريب تتلخص فى الآتى :

أولا : إنشاء ثلاثة مراكز للتدريب تمثل عينات مختلفة من النشاط الزراعى أولها يقام بتفتيش الحكومة بسخا ، ويلحق بالمعهد الزراعى العالى بكفر الشيخ ، وثانيها يقام بمديرية التحرير ، وثالثها ينشأ فى تفتيش وادى كوم امبو .

ثانياً : تزود المراكز الثلاثة بوسائل التدريب العملى التى تعين المدرب على الإحاطة بأصول العمل الزراعى فى هذه البيئات المختلفة ، وطرق إجادته ، والسبل العملية المؤدية إلى هذه الإجادة .

ثالثاً : تزود المراكز الثلاثة بأجهزة فنية تؤمن بأهمية الجانب العملى فى العلم الزراعى ، ولا يتطرق الشك إلى كفايتها فى هذه الناحية .

رابعاً : توجه برامج التدريب نحو المجالات التى سيخلفها قيام السد العالى . وهذه تنحصر أساساً فيما يلى :

(ا) ميكنة الزراعة . (ب) استصلاح الأراضى .

(حـ) التصنيع الزراعى والغذائى . (ى) مقاومة الآفات .

أما الدراسات النظرية فيجب أن تخلو منها برامج هذا التدريب ، ويكفى منها ما حصل عليه المدربون فى معاهدهم .

خامساً : ينتظم المدرسون فى هذه المراكز بحيث يمضى الجدد منهم مدة أقلها سنة كاملة ، أما القدامى منهم فيكفيهم التردد عليها ثلاثة أشهر كل خمس سنوات .

سادساً : يجب أن تعد هذه المراكز بحيث تتوافر فيها سبل الإقامة المريحة للمدربين ، أما الجانب التربوى لتدريب غير التربويين من مدرسى التعليم الزراعى فيجب أن يحظى هو الآخر بالرعاية الواجبة من حيث مدته وبرامجه ، ونترك ذلك لإخواننا من رجال التربية .

تدريب الطلبة بالمدارس : لم يحظ بعد بالجدية التى يستحقها ، لامن جانب الطلبة ، ولا من جانب المدرسين ، وهو كذلك بالنسبة الأولين ، لأنهم لم يتصوروا أنفسهم فى حاجة إلى هذا النوع من المعرفة ، لأنها أبعد ما تكون عن شئون

الوظائف الحكومية التى يتقلدونها ، أما عدم جديته من جانب المدرسين فلأن خبرتهم فيه كما ذكرت محدودة .

وهناك سبب آخر يدعو المدرسين إلى المبالغة فى الاهتمام بالناحية النظرية ، ذلك أن طلبة جميع مدارس المرحلة الواحدة يلتقون فى السنة النهائية أمام امتحان موحد للجميع ، والمدرس الذى يأنس فى نفسه الكفاية ويوجه اهتمامه إلى ناحية التدريب العملى ربما جاءت نتيجة طلابه فى الامتحانات التحريرية أقل من نتائج زملائه ، فيكون ذلك وبالا عليه .

وإذا كان المجتمع العربى الجديد أصبح يقدر العمل اليدوى ويحترم صاحبه ، ثم إذا كنا قد هيأنا السبل لتدريب المدرسين على الصورة السابقة ، فأغلب ظنى أن السبيل بعد ذلك تصبح معبدة لقيام تدريب الطلبة على الصورة التى نرجوها .

مراكز لتدريب خريجى المدارس الثانوية الزراعية :

إن تدريب طلبة المدارس الثانوية الزراعية مهما بذل من عناية فى توجيهه إلى الوضع السليم لا يؤدى بالطالب إلى المستوى الذى ترجوه له المؤسسات العامة والخاصة ، ذلك لأن التدريب بالمدرسة لا يقتصر على مجال واحد ، ولا يجب أن يقتصر على هذا المجال الواحد ، لأنه تدريب عام فى كل المجالات . والحكمة فى جعله كذلك أن تتاح الفرصة أمام خريجى هذه المدارس للعمل فى شتى الميادين الزراعية التى أعدتها لهم دراساتهم التى سبقت الإشارة إليها . أما إذا شاءت الظروف ـ وأظنها ستكون كذلك بعد قيام السد العالى ـ أن يكون لدينا المدربون فى مجالات معينة ، كان ذلك فى مراكز للتدريب ينتظم بها الخريجون وتتفاوت مدتها بين بضعة أشهر وسنة كاملة يدربون خلالها على أحد مجالات العمل الزراعى التى تخدم هذا المشروع المعين ، ومجالات العمل الزراعى التى يخلقها قيام السد العالى وسبقت كذلك الإشارة إليها .

الطالب : ظلت مدارس الزراعة المتوسطة فترات طويلة تستقبل خليطاً من الطلبة مختلفى الأعمار والمستويات العلمية المختلفة ، والالتحاق بهذه المدارس لم يكن ينال التقدير الجدير به ، وإنما كان انتظام الطالب فى إحدى مدارسه

على وجه عام يعتبر فشلا له ، لا فى تعليمه فحسب ، بل فى حياته كلها ، ولكن المجتمع العربى بدأ والحمد لله يفكر بعقلية جديدة أساسها احترام العمل اليدوى وتقدير صاحبه . وما يشترطه القانون الآن من حيث قصر القبول فى المدارس الثانوية الزراعية على حملة الإعدادية العامة يحقق الانسجام المطلوب بين الطلبة من حيث مستواهم الثقافى الذى يؤهلهم لمواصلة هذه الدراسة ، ومن حيث أعمارهم التى أصبحت تتفاوت بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة ، ثم إن كفاية الطالب لمواصلة هذه الدراسة أصبحت لها الآن مقاييس على رأسها البطاقة المدرسية التى تكشف عن مواهب كل طالب واستعداداته وميوله الخاصة .

ولقد اتجه ميلى يوماً إلى تخصيص نسبة ضئيلة (١٠ ٪) من بين الملتحقين بالمعاهد الزراعية فى كل مستوياتها يختارون من بين أبناء كبار الزراع ، وقد دعانى إلى التفكير فى هذه النسبة أن كبار الزراع يملكون من عناصر الإنتاج الزراعى الأرض ورأس المال ، ولا تعوزهم غير المعرفة بالفنون والعلوم الزراعية ، وهذه يمكن أن نستكملها فيهم بتعليم أبنائهم ، وبذلك نخدم الاقتصاد القومى بواسطة زيادة الإنتاج الزراعى الذى يقوم على أساس من العلم ، ولكن بعض المسئولين عارض هذا الاتجاه ، واعتبره قائماً على التمييز الطائفى الذى لا تدعو الحاجة إلى قيامه .

الإمكانيات :

تتمثل الإمكانيات المادية للمدرسة الزراعية فيما يلى :

(ا) مبناها : ويجب أن يحتوى على فصول للدراسة ، ومعامل للألبان والصناعات ، والعلوم العامة ، والبيولوجية ، والمكتبة . ثم القسم الداخلى بمشتملاته .

(ب) مزارعها : وما يجب أن يلحق بهذه المزارع من مخازن وآلات زراعية .

(حـ) قطعان الماشية والدواجن : وما يلزمها من اصطبلات وحظائر ، ولا سبيل إلى التجاوز عن إحدى هذه الإمكانيات ، وكل عجز فيها يهدد رسالة المدرسة ، ذلك أن الإمكانيات هى وسيلتها إلى تعليم أفضل .

وإذا كنت قد أشرت لمبانى المدرسة الزراعية كإحدى الإمكانيات التى يجب أن نستكملها ، فلست أقصد مطلقاً أن تكون مظهراً من مظاهر البذخ أو الإسراف ، بل إنى أريدها بسيطة التكاليف ، وافية بالاغراض التعليمية والإنتاجية .

وفى اعتقادى ان التصميات الموضوعة لمبانى المدارس الزراعية الثانوية والإعدادية تحتاج إلى معاودة النظر فيها ، وإدخال التعديلات اللازمة عليها .

المدرسة الزراعية وحدة إنتاجية :

لقد رأى أحد خبراء التعليم الزراعى فى هيئة الأغذية والزراعة أن المدرسة الزراعية يجب أن تمثل فى مجموعها وحدة إنتاجية كاملة سليمة ، يسير العمل فيها فى الحدود الاقتصادية حتى تكون مثلا يحتذيه تلميذها فى حياته العملية مستقبلا .

وهذا يخالف الوضع الذى قام فى ذهننا فيما مضى ، فقد كنا نعتقد أن المدرسة اداة تعليمية ، وليس من أغراضها أن تكون وحدة إنتاجية . ومن رأى هذا الخبير أن ذلك إن جاز فى مزارع البحث والتجارب العلمية فإنه غير جائز فى المدارس الزراعية المهنية التى لا يعتبر البحث العلمى من أغراضها .

المدرسة الزراعية فى خدمة المجتمع :

إذا كنت قد تصورت قيام المدرسة الثانوية الزراعية على الصورة السابقة — ولا شك أن تكاليف ذلك على الدولة باهظة — فإننى أرى أن رسالة المدرسة يجب ألا تقتصر على تعليم طلابها ، وانما تتجاوزها إلى خدمة البيئة التى تقوم فيها ، والمدرسة غير قادرة على السير فى هذا المضمار مالم يتحقق الاتصال بينها وبين هذه البيئة والاندماج فيها ، ووسائل هذا الاتصال كثيرة نذكر منها :

١ — إيجاد هيئة استشارية للتعليم فى منطقة التعليم يندمج فى عضويتها بعض كبار الزراع بالإقليم .

٢ — تأليف مجلس إدارة للمدرسة يشترك فيه بعض النابهين من مزارعى المنطقة التى تقع المدرسة فى دائرتها .

٣ — دعوة مزارعى الإقليم لزيارة المدرسة فى فترات معينة أثناء المواسم

الزراعية ، وتطول فترات الزراعة أو تقصر حسب الظروف ، وفى أثنائها يجب أن تكون أسرة المدرسة ممثلة فى ناظرها ومدرسيها وطلابها ، وعلى استعداد لتلبية طلبات الزائرين وتولى شرح كل ما يلتبس عليهم فهمه .

٤ — إقامة المعارض الاقليمية .

٥ — زيارة طلبة المدرسة للمؤسسات والمزارع الواقعة بالإقليم .

وكل ذلك وغيره كثير يعتبر من وسائل الاتصال التى لا يتسع المقام لسردها كفيل بتحقيق الرغبة فى اندماج المدرسة فى البيئة لكى يأنس أبناء هذه البيئة إليها ويقدرونها ، ويتجهون اليها حينما تعوزهم الحاجة .

والخدمات التى يمكن للمدرسة أن تؤديها للبيئة كثيرة ، ولكن الذى يساعد عليها هو رغبة المدرسة فى القيام بها أولا ، وتوفر إمكانياتها ثانياً .

وهذه الإمكانيات تتمثل فى :

أولا : الكفايات العلمية المنوعة لأعضاء هيئة التدريس ومن بينهم الزراعى والبيطرى والمهندس .

ثانياً : الآلات والأجهزة الحديثة والأدوات التى يتوافر وجودها بالمدرسة ولا يوجد مثلها لدى جمهرة الفلاحين .

ثالثاً : العتر الممتازة من الحيوانات والدواجن ووسائل علاجهـــا . ومقاومة الآفات .

والمدرسة الزراعية كما ترون بإمكانياتها ووسائلها والخبرات العلمية الموجودة بين جدرانها — لاشك أقدر على خدمة جمهورها من الفلاحين فى شتى الميادين . ولكن ذلك يتوقف إلى حد كبير على صدق النية وخلوص الطوية ، والرغبة الصادقة من جانب ناظر المدرسة ومعاونيه من المدرسين .

تعليق على سياسة التعليم الزراعى المهنى الحاضرة بمصر :

من هذا العرض السريع لميادين التعليم الزراعى المهنى تبدو لنا المظاهر الآتية :

١ — تؤمن حكومة العهد الحاضر بأهمية التعليم الزراعى كوسيلة من وسائل تدعيم النهضة الزراعية .

٢ — بدأت أهداف التعليم الزراعى تتجاوب مع أهداف المجتمع الزراعية .

٣ — عدلت المناهج الدراسية ، وأصبحت تهتم بالتلميذ من حيث تعلمه وبيئته ، وتكوين شخصيته ورفع مستواه .

٤ — امتد نشاط التلاميذ إلى خارج المدرسة فى البيئات المحلية وتجاوزها إلى بيئات أخرى تمثل عينات جديدة للبيئات المصرية الزراعية كمديرية التحرير .

٥ — بدأت تتوثق الصلة بين المدرسة والبيئة تحقيقاً للنفع المشترك .

٦ — وجهت العناية لإعداد المدرس الصالح للتعليم الزراعى سواء منهم من كان فى الخدمة فعلا ، ومن تقرر إلحاقه بها .

٧ — وجهت العناية لإعداد قادة هذا التعليم بإعداد برامج لتدريبهم فى صورة مراكز للتدريب ومؤتمرات .

٨ — حظى التعليم الزراعى إلى حد ما باستكمال إمكانيات مدارسه ومرافقها .

٩ — امتدت رسالة التعليم الزراعى إلى المواطنين المشتغلين بالزراعة وغير المنتظمين بمدارسه .

والآن وقد أوضحت فى هذه الرسالة بعض الاتجاهات التى أراها مؤدية للنهوض بتعليمنا الزراعى المهنى ، فلست أدعى أننى قد وفيت الموضوع حقه ، وألممت بكل جوانبه ، ولكنها محاولات أرجو أن تؤدى بنا إلى تعليم أفضل والله ولى التوفيق .